بقلم عدنان بدر

بعض معالم الصراع بين الاتجاهين الثوري والرجعي في الأوضاع العربية الراهنة

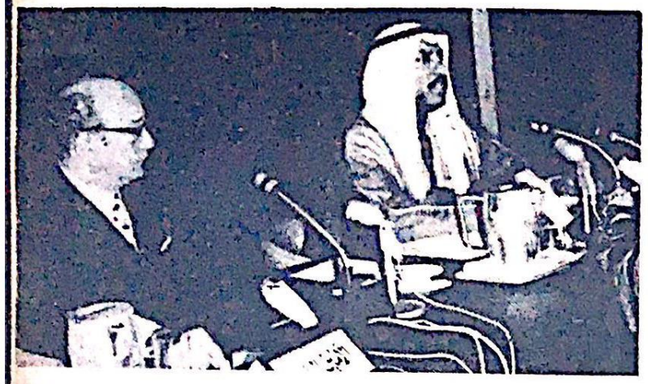

الحل « السلمي » ، كما تفهمه اسرائيل والولايات المتحدة والرجعيه العربية ، لم يكن في يوم من الايام ، مساله جغرافيه بحته ، بل هو في الاساس مساله ترتيب الاوضاع السياسيه والاقتصاديه والاجتماعيه ، ثم الجغرافية ، في المنطقة على الشكل الذي يخدم وجود وهيمنة ومصالح الاطراف المذكوره .

وعلى هذا الاساس كانت حركة المبادرات والمشاريع التصفوية ، منذ هزيمة حزيران وحتى الان ، مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتطورات والتغيرات التي تحدث هنا وهناك على اتساع الساحة العربية .. فقد كانت هذه الحركة تنشط دائما ، اما لاحباط نمو ثوري محتمل ، واما لتحقيق قفزة رجعية على موقع تقدمي موجود ..

وانطلاقا من هذه الحقيقة الشديدة البروز في تجربة السنوات الخمس الماضية ، نصبح من الضروري الى ابعد الحدود ، امام النشاط الجديد في حركة المشاريع والمبادرات التصفوية ، ان نجيل النظر في ممكنات الاوضاع العربية الراهنة وتطوراتها المحتمله .. ومعا لا شك فيه ان في تلك الاوضاع عناصر اتجاهين اساسيين يناقض احدهما الاخر .. اتجاه تقدمي ثوري واتجاه استسلامي رجعي ..

الاتجاه الثوري

مرت حركه التحرر الوطني العربية ممثله بجميع فصائلها الجماهيريه ، خلال الاعوام الماضية بسلسله من الجارب والمحن القاسية ، كما تكشفت امام ناظريها مجموعة من القضايا والتحركات ، شكل رسب لديها الغنى من الدروس ، وفتح بوافذها على بالمزاد التجربة والخطأ .. وكل ذلك احدث في اوضاعها مجموعة التطورات الذاتية الايجابية التي كان ابرزها :

أولا : بالنسبه لحركه المقاومة الفلسطينيه ، الفصيل الاشد التصاقا بالساحة الاساسية للصراع بين حركة التحرر الوطني العربية وبين معسكر الامبريالية والصهيونية والرجعية . وجدت هذه الحركة بعد سلسلة من التجارب الدموية ، وفي وسط شبكة شديدة من التعقيد من الضغوط والمامر ، وجدت نفسها على مفترق مصيري .. فهي اما ان تتغافل عن حقائق التجربه والواقع ، فتابع دفع مازقها وازماتها بالتاجيل والمحاكمة والمساومات ، ماركة للزمن ان ينخر في بنيها الثورية مارب للبروقراطية والترهل والمصالح الفردية والانانية التي تنمو وتزدهر وتفعل فعلا مباشرا في زحلقه الحركه كلها نحو الافخاخ والنسباك المنصوبة حولها . واما ان تاخذ بعين الاعتبار والفعل ، الامور التالية :

● لقد سقطت خلال التجارب الدموية القاسيه والمريره ، جملة من الخلفيات النظرية والسياسية التي ساهمت الى حد بعيد في تصعيد حدة مازق المقاومة ، ومن هذه الخلفيات :

١ ـ الرؤية الحولاء لطبيعه الصراع ، والتي كانت تؤدي الى التعرف على اساس ان الصراع هو صراع فلسطيني ـ اسرائيلي فحسب ، وان الاوضاع العربيه هي اوضاع محايده .

هذه الرؤية والممارسه العملية المنبثقة عنها ادت الى مجموعه من الامراض والمازق كان من ابرزها ، نمو المظاهر البيروقراطية في المقاومة من خلال بناء اوضاعها في الاقطار العربيه على اساس عدم التدخل في الشؤون الداخلية ، الامر الذي منع المقاومة من تحصين نفسها بالشكل المطلوب ضد تامر الرجعيه العربية ، وخلق ، او سهل خلق نوع من العزله الفلسطينية لحركه المقاومه عن الجماهير العربيه ، كما سمح بانساء شبكه من العلاقات الملتويه والسياسيه بين قاده المقاومه وبين الانظمة العربية ، وقد تعقدت هذه الشبكة الى درجة كبيره واصبحت ذات وزن كبير في التاثير على سياسات المقاومه ووجهاتها . كما ساعدت هذه الرؤية الى حد بعيد وضع شعار درب مصالح العدو الامبريالي موضع التنفذ .

بالاضافه لذلك فان هذه الرؤية شكلت خلفيه نظرية قصمه امام اطروحات المشاريع التصفوية التي تقول بالدولة الفلسطينيه وحكومه المنفى ، في الوقت الذي شكلت فيه خلفيه اضعف لطرح الحل الثوري الجذري للمستقبل الاجتماعي والبشري والسياسي لدوله الثوره بعد التحرير ، في مقابل الحلول « الديمقراطيه » الجهصه التي يطاحك بها نظريو البرجوازيات الاوروبيه .

٢ ـ التصور الهش لاستقلال معركه التحرر الوطني عن الصراع الطبقي في المجتمع ، والتي نسجت ممارساتها على اساس ان كل الفلسطينيين يملكون نفس المصلحه في تحرير فلسطين وبالتالي نفس الاستعداد للنضال من اجل ذلك التحرير ..

فقد ثبت بممارسة الكفاح المسلح اولا ، وبالحركات السياسيه الجاريه في الاردن والارض المحتله ثانيا .. ان هناك طبقات بدفعها مصالحها الى بقلب التعاون مع العدو على التعاون مع الثوره . وان هذه الطبقات المثله بالاقطاع والبرجوازية الكبيرة لا سيما البرجوازية التجاريه هي مرهونه بمصالحها للعدو الامبريالي الصهيوني الرجعي ككل او لاحد اطرافه .

كما ثبت بالممارسه ان البرجوازيه الصغيره على كونها طبقه وطنية ، هي غير قادره على قياده الكفاح بكل ما تتطلبه من رؤيه ثوريه واضحه واستعداد للبذل غير محدود وقابليه للتنظيم حديديه . فهي ، في حاله الانحسار بشكل خاص ، تزداد ميلا الى التهادن والتاجيل والتذبذب والمساومه . في حين انها في حالات المد تزداد ميلا لركوب الموجه وتحقيق المكتسبات والامتيازات الانيه التي تعيق العمليه الثوريه .

٣ ـ العوله القصيره النظر حول ان الكفاح المسلح هو الاسلوب الوحيد للمعركه ، بدلا من انه الاسلوب الارقى ضمن عدد كبير من الاساليب النضالية .. ففي مناخ هيمنة هذه العوله كان القصور في بناء الحزب الثوري الذي يقود الثورة وتنظم التحالفات الوطنيه ، وتنسق بين مختلف اشكال النضال في ساحة واسعة كساحة صراعنا تتعدد فيها الجبهات وتعقد اساليب المواجهة .

لقد سقطت هذه الموضوعات في الاذن الدموي للجارب التي خاضتها حركة المقاومة الفلسطينية واخذت تحل محلها بباشر وعي ثوري متقدم يحاول اطلاق المقاومة من قمقم ازماتها الحاده ، بان يتمي الارتباط المصري بين الكفاح على الساحة الفلسطينية والكفاح على الساحة العربية ، بارساء اقوى ما يمكن من العلاقات الثورية بين المقاومة وبين القوى والاحزاب والتنظمات الشعبية العربية مستبدلا هذه العلاقات الثوريه بشبكة العلاقات الراهنة بين قاده المقاومة وبين الانظمه العربيه .

كما يدق هذا الوعي الجديد ابواب المرحله التي يبنى فيها التنظيمات على اسس طبقية ثورية تضاعد ضمنها الدور الرئيسي للطبقه العامله صاحبه المصلحة الاشمل في التحرير ، والقدره على التضحية والقابلية الاشد للتنظيم الثوري . في الوقت الذي اخذت فيه موضوعه

بناء الحزب الثوري الذي يقود النضال ، ياخذ حيزا بالغ الاهميه .

ثانيا : بالنسبه للفصائل الاخرى في حركة التحرر الوطني العربيه :

تميزت حركه التحرر الوطني العربيه في المرحله السابقة بهيمنة البرجوازيه الصغيره عليها ، وفي ظل تلك الهيمنه كان النزوع نحو الشرذم والاستقلالية الدوله والعرسه والفطريه ظاهره عامه في العمل الوطني العربي على صعيدي النظريه والتطبيق .. وكانت هذه الحركه بالتالي غير محصنة امام ضوابط الامر والانضباط الايديولوجي والانحراف ، وغير مسلحة بالفكر العلمي القادر على النفاذ الى الواقع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لغرز عناصره الايجابية والسلبية وبرمجة بصارع هذه العناصر ضمن سياق اتجاه نضالي عام موحد تكمل بانهاض ما في الجماهير العربية من طاقات كامنه ونقلها الى حدود الفعل .

اما في هذه المرحله فنرى ساشر بتحولات اساسيه على هذا الصعيد ، فلا شك ان الجارب والحياه ، والتغيرات البنيويه في المجتمع ، خاصة ازدياد حجم ودور الطبقه العامله ، قد احدثت تاثيرا واسعا في مناخات العمل الوطني العربي .

١ ـ على الصعيد الفكري : تطلعت الى اقصى حد ممكن طاقات الافكار الضبابيه والشوفينية والانعزالية ، امام عدم الفكر العلمي ، واخذت الماركسة اللنينيه تزداد انتشارا في الاوساط الشعبيه العربيه محدثه (بعد فتره من البلبله) نوعا من الفهم العام لوقائع المعركه وطبيعه الصراع على المستويات الفطريه والقوميه والدوليه .

٢ ـ على الصعيد السياسي : ادى استئناف البرجوازيه الصغيره الحاكمه في بعض الاقطار لاقصى ما تمكن من امكاناتها ، ونمو القوى الرجعيه في داخلها ، وسرق مواقفها الوسطيه الى نوع من الارتماء على حافتي الصراع في صفوف تلك الطبقه فاخذت تفسح المجال الرحب الذي كانت تحتله في العمل الوطني العربي ، للقوتين الاساسيتين في الصراع : القوى الثورية الاقرب الى مواقع البروليتاريا والطبقات الشعبيه الكادحة ، والقوى الرجعيه المرتبطه بالعدو الامبريالي ارتباطا مباشرا . وهذا الفرز ادى من جهه الى وضوح المعركه اكثر من السابق امام الجماهير العربيه ، وسهل على القوى الثوريه العربيه اكثر فاكثر عمليه توعية الجماهير وتعبئتها .. واخذ النزوع نحو وحدة حركه التحرر الوطني العربيه يحل رويدا رويدا محل التزاحم على الهيمنه والغرد اللذين ساهما مساهمه كبيره في ما اصاب النضال العربي من نكسات .

لقد اخذت القوى الثوريه العربيه تعي ان معركتها هي واحدة ومصيريه وان عدوها هو واحد وان التحالف فيما بينها هو الاطار الامثل لخوض تلك المعركة ودحر ذلك العدو .. كما اخذت تعي اكثر فاكثر ان معركتها لا تنفصل عن الصراع العالمي الراهن ، انها جزء من معركة الثورة العالميه ضد الامبرياليه وجميع مستغلاتها العنصرية والرجعيه والفاشية .

٣ ـ على الصعيد التنظيمي هذا المناخ الوحدوي الثوري افسح المجال واسعا امام طرح المبادرات التنظيميه الملائمه معه ومع تصاعد حدة المعركه ، فقد عدت الجبهات الوطنية التقدمية على الصعيد القطري ، والجبهه القدميه العربيه على الصعيد القومي ، والحالف مع المعسكر الاشتراكي وحركات التحرر وقوى الطبقه العامله في البلدان الرأسمالية على الصعيد العالمي ، عدت شعارات شعبيه لا يمكن انكارها .. وقامت مبادرات اولية على صعيد وضعها موضع التنفيذ ، ومهما كانت هذه المبادرات جنينية ، فانها تكتسب اهميه كبيرة من حيث انها تشير الى معطيات المرحلة الجديدة واساليبها المتقدمة .

واذا حاولنا اكتشاف الرجعه العملية لهذا الاتجاه الثوري العام على صعيد الواقع نجد ما يلي :

١ ـ على صعيد المقاومه الفلسطينية :

● بداية نمو حالة ثوريه جديده في اوساط الجماهير الفلسطينية والعربية ، معاكسة لاتجاهات المساومة والتهادن التي برزت في مسيرة المقاومه وضاغطة بشكل متزايد من اجل خلق وحده وطنية ثوريه وجماهيريه .

● بدايات تنظيميه صعدته داخل حركه المقاومة ، ولا سيما داخل الارض المحتله (لا شك ان اعطاء تنظيم الجبهه الشعبية في الداخل اهميه كبيرة للنضال السياسي الجماهيري ـ توزيع البيانات السياسيه في غزة والارض المحتلة عام ١٩٤٨ ، والضفه الغربيه ـ تشكل علامه بارزة على هذه الطريق) .

● الصاعد الجديد في نضال المقاومه في الداخل ، على حساب الهيمنة البروقراطيه الاخذة بالاندحار في الخارج .

● القبول الشعبي العام لبدا ضرب العدو ومصالحه اينما وجد ، على حساب السابق الماضي الى رفض وادانة هذا الخط .

● الاتجاه العام داخل المقاومة الى التلاقي مع القوى الوطنيه والتقدميه العربيه ـ وان كان هذا الاتجاه لم يعبر عن نفسه تنظيميا بعد الا ضمن صيغ تكتلية ـ المؤتمر الشعبي في القاهرة والمؤتمر الشعبي المدعو لعقده في بيروت الشهر القادم . لكنه عبر عن نفسه سياسيا في اكثر من موقف واكثر من مناسبة كان نموذجا عنه موقف فصائل المقاومه من انتفاضات العمال والطلبه في مصر ومن ضرب الحزب الشيوعي والقوى الديمقراطية في السودان ، وكذلك من اخراج الخبراء السوفيات من مصر ومن محاولات غزو اليمن الديمقراطية .

● التلاقيات المتطوره بين مجمل فصائل المقاومة وبين المعسكر الاشتراكي وحركات التحرر العالميه .

٢ ـ على صعيد الفصائل الاخرى في حركه التحرر الوطني العربيه :

● لا شك ان صعود النظام التقدمي في اليمن الديمقراطيه بوجه الغزو وتصاعد الثورة في الخليج ، والتفاف القوى التقدمية العربيه حول ذلك ، كان من ابرز عوامل الاتجاه الثوري في العمل الوطني العربي .

● وكذلك كانت عمليه تحرير النفط في العراق وسوريا والعمل لوضع مبدا الجبهات الوطنيه والتقدميه في الظرين موضع التنفيذ .

● التقدم في مواقف الاحزاب الشيوعية العربيه من القضيه الفلسطينيه ومن حركه المقاومه . وفي دورها الاسفطابي ضمن فصائل حركه التحرر الوطني العربية .

● الدور الاكبر للطبقة العاملة في الحياه الاقتصادية والاجتماعيه والسياسية في الجزائر ومصر وسوريا والعراق ولبنان والبحرين والمغرب .

الاتجاه الرجعي

ان العناصر المكونه للاتجاه الثوري المذكورة اعلاه ، لم تتم في الفراغ ، ولم تات لتملا فراغا .. بل هي نمت او بشكل ادق ، هي احدة في النمو على حساب القوى الوسطيه والرجعية ، ومن الطبيعي ان تلقى معاومه مصاعدة الحده من قبل تلك العناصر والقوى الرجعيه والوسطية.

على صعيد المقاومة الفلسطينية

نجد ان هناك مسارعه من قبل الانظمه العربية لاستثمار علاقاتها داخل المقاومة من اجل احباط النمو الثوري الجديد الذي تشهده المقاومة ، ولا شك ان طرح مشروع حكومه المنفى وتجديد مساعي المصالحه مع النظام الاردني يأتيان في مقدمه المنظور من تلك المساعي . كما ان هناك محاولات لدجين الاتجاهات الثوريه عبر السعي لتجديدها في اطر شكليه ومنعها من التعبير عن نفسها باشكال ثوريه ، كمحاولة ضرب المؤتمر الشعبي العربي في بيروت واستبداله بمؤتمر « لا حزبي » ..

ومحاولات تجديد المناجرة الاعلامية بالمقاومة من قبل الانظمه لتطويق مبادرات لقائها مع الجماهير العربيه وشل تاثيرها الثوريه في اوساط تلك الجماهير . بالاضافه الى تشديد التعتيم الاعلامي على عمليات المقاومة في الداخل بشكل خاص .

على الصعيد العربي

هناك سعي مسارع الخطى من قبل الانظمة العربية للوصول الى الحلول التصفوية قبل ان تستكمل الحالة الثورية الجديدة ، ومن هنا كان التهالك العربي الراهن لارضاء الامبريالية الامريكية ، بتشديد القمع ضد القوى الثورية ، واعاده العلاقات مع بون وواشنطن ، وتنشيط العلاقات مع الامبريالية الاوروبيه ومضاعفة انتاج البترول في السعودية تامرا على عملية تحرير البترول في العراق وسوريا . والتهجمه المتصاعدة على العلاقات مع المعسكر الاشتراكي التي بلغت ذروتها في اخراج الخبراء السوفيات من مصر ، ومحاولات غزو اليمن الديمقراطية واسقاط نظامها التقدمي ومشاركه اطراف عربية اخرى بالاضافة للسعودية في تلك المحاولات .

اعلان الجهوز والاستعداد لقبول المبادره الامريكيه الجديدة حتى من قبل اعلانها رسميا (جوهر مؤتمر الكويت) .. المصالحه مع النظام الاردني والقبول بمشروعه تحت يافطة « الخطة العربية الموحدة » و « تنقية الجو العربي » .

الانفتاح التجاري والسياحي على الغرب بشكل لم يسبق له مثيل . محاولات التغلغل الى داخل الحركات الشعبية العربية وتجديد المحاور الشوفينية والرجعية الدينية داخلها .. العمل على حتن الوضع العربي من جديد بمشحونات طائفيه وعنصرية في اكثر من قطر عربي .

كل ذلك وسط هجمه اعلامية ومادية مركزة لكم الافواه الثورية والديمقراطية والسيطرة شبه الكاملة على وسائل الاعلام والتنسيق فيما بينها لخدمة الهجمة الامبريالية الصهيونية الرجعية ، بلغت حدود الدعوة المباشرة للتفاوض والمفاوضات والصلح ..

طبعا ، هذه مجرد عناوين لما هو بارز في الاتجاهين المتصارعين ضمن الواقع العربي في المرحلة الراهنة ، وان هذين الاتجاهين ، ولا سيما الاتجاه الثوري ، ما يزالان في مرحلة التكامل ولم الشمل على درب الصدام المصيري والحاسم فيما بينهما وما تمثلانه من تحالفات على المستويات العقربية والقوميه والدوليه .. مع ان الاتجاه الرجعي يحاول منذ البداية ان يحسم هذا الصراع المصيري بمواجهات جزئية متعاقبة ..

وهذا الوضع يفرض على الاتجاه الثوري المسارعة في العمل لانجاح عملية التكامل الثوري من اجل الانتقال العملي من مرحلة الدفاع الى مرحلة الهجوم .. نرفيا للوصول الى مستوى المعركة الحاسمة الطويلة الامد والشاقة الحدة ■■